دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلسَّادِسَ عَشَر)

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مِنَ الآيَةِ ﴿١٦١﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ الدِّين الحُوثِي

بِتَارِيخ: ١٦ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٩/١١/٢٠٠٣ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

هذه الآيات التي سمعناها معظمها استكمال لغزوة (أُحُد) وتقديم ما فيها من دروس وعِبَر للمسلمين الذين كانوا في هذه الغزوة ومَنْ بعدهم، وتركّزت على كثير من القضايا الهامة التي الناس بحاجة إلى فهمها، فيما يتعلق بالعمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعدائه، ما كان منها متعلقاً بقضية الثقة بالله سبحانه وتعالى، وما كان منها عبارة عن توجيهات هامة في مواجهة العدو وتوجيه كيف يجب أن يكون منطق الناس، كيف يكون كلامهم، ما هي الأشياء التي يبتعدون عنها تماماً، باعتبار الكلام فيها جزافاً أو باعتبار الكلام فيها مما يسر العدو ويرفع معنويات العدو فيؤثر تأثيراً سلبياً بالنسبة للمسلمين بالنسبة للمجاهدين.

نرى أيضاً ضمن هذه الآيات فيها ما يُشخِّص لنا شخصية رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفعلاً – كما نقول – أن القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) معرفة سيرته ومعرفة شخصيته، معرفة جوانب من عظمته، ما يمكن أن نعرفها بالنسبة له (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وكذلك بالنسبة لأنبياء الله الآخرين، ونحن بحاجة ماسَّة إلى هذه القضية أيضاً، إلى معرفة الأنبياء وإلى معرفة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بالذات معرفة كافية.

عرفنا كيف أنه كان قائداً لديه معرفة عالية، ويُعتمَد عليه بشكل كبير في ميدان المواجهة: ﴿وَإِذْ غَدَوتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾(آل عمران:١٢١) كذلك بالنسبة لنفسيته، أخلاقه العالية، سعة صدره التي تجعله يعرف كيف يتعامل مع الآخرين في الظروف الصعبة، في الظروف التي عادة تؤدي إلى اختلاف بين الناس، اختلاف بين المجتمع، اختلاف فيما بين القيادة والجنود ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَولِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩) عندما نسمع توجيهات كهذه فيها ما هو حكاية عمَّا هو عليه فعلاً ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَولِكَ﴾ أو نسمع توجيهات له وتراها ذات قيمة عالية وهامة جداً، خاصة في وضعية كهذه التي مر بها المسلمون بعد معركة أحُد ﴿فَاعْفُ عَنْهُم﴾.

وتجد داخل الآيات التي تذكر أحداث معركة أحُد وتلك الهزيمة، كم ظهر فيها من كلمات ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾(آل عمران:١٥٥) ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾(آل عمران:١٥٢) وهكذا، فيوجِّه رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أيضاً بأن يعفو عنهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُم﴾ العفو قد يكون التغاضي عن المؤاخذة، التغاضي عن كثير من التأنيب والتوبيخ. العفو يختلف عن المغفرة ويكون له مجال خاص غير موضوع المغفرة؛ ولهذا يأتي في بعض الآيات يجمع بين العفو والمغفرة.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ واستغفر لهم: بأن تطلب من الله المغفرة لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ لأنه في حالة كهذه عندما يتجه لأن يشاورهم هذه فيها نوع من الأُنس، أي: يلمسون بأن نظرته إليهم لا تزال جيدة، ولا يزال قريباً منهم، الإنسان الذي تتجه لمشاورته يعني ماذا؟ يعني أن نفسك قريبة منه؛ لأن الهزيمة – عادة – تترك أثراً كبيراً في النفوس، خاصة وهم عندما انهزموا في (أحُد) تركوا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في الميدان وكانت هذه قضية كبيرة، فكان هذا شيئاً طبيعياً أن يستحي كل شخص منهم ويخجل ويحاول ألاّ يراه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فإذا اتجه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إليهم وشاورهم وتحدَّث معهم يحسون بنوع من الأُنس، فهذه لها أثر كبير في النفوس.

وعندما ينطلق رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يتعامل على هذا النحو من منطلق معرفته للناس كبشر يعرف الناس كناس، ويعرف الوضعية أنه ليس أسلوباً صحيحاً أن يتجه إلى توبيخ ومقاطعة لهم ونفور منهم؛ هذا سيزيد من ماذا؟ من ارتياح العدو؛ لأنه أوجد هزيمة جعلت هذا المجتمع يتفكك تماماً، وكل إنسان وإن زل قد يكون قريباً إلاّ نوعية منهم تحدث عنهم: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(آل عمران:١٥٤) هذه نوعية أخرى، لكن آخرين قد يكون أحياناً متى ما زلّ زلة كل واحد يعرف زلته، وكل واحد يكون لزلته أثر في نفسه، وبالإمكان إذا كانت نفسيته لا تزال صالحة أن يكون قابلاً لأن يُوجَّه أكثر ويتفهَّم أكثر ويأخذ دروساً وعبراً مما حدث فيكون فيما بعد على مستوى أفضل.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: يقول هنا في توجيهات ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(آل عمران:١٥٩) توجيهات هامة جداً وبالتأكيد أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كان على مستوى العمل بهذه التوجيهات.

إذاً فهنا تعرف شخصية الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قد تكون في كتب السيَر تاريخاً يعرض فقط أحداثاً مُعيَّنة مؤرخة وتُكتَب فيها أرقام مُعيَّنة، لكن التحليل لشخصيته قضية أخرى، التحليل لمنطلقاته في عمله، في تكتيكه العسكري، في اختياره للقادة، في اختياره للموقع، وأشياء من هذه، لا تتناولها معظم السيَر فعلاً، وهي قضية هامة، أي: ليس المطلوب فقط من السيرة أو من التاريخ أن نعرف متى وقعت الغزوة الفلانية، وكم كان عدد المسلمين، وكم كان عدد الكافرين، وانتهى الموضوع، بل المطلوب أن نعرف - بطريقة تحليلية - كيف كان تفكير النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كيف كان تخطيطه، كيف كانت مشاعره، كيف كان تقييمه، كيف كانت الوضعية بشكل عام، وضعية جانب المسلمين ووضعية الآخرين (الكافرين) الوضعية بشكل عام، وضعية العالَم في ذلك الزمن بشكل عام، حتى يكون التاريخ له أثر في النفوس ويعطي دروساً مهمة، ويعطي عبرة، وتعرف من خلاله النفسيات.

لاحِظ هنا في معركة (أحُد) كم حصل من خلالها من غربلة، كما قال بعد: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾(آل عمران:١٦٦، ١٦٧) وسابقاً يقول: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾(آل عمران:١٤١) ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾(آل عمران:١٤٠) ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾(آل عمران:١٤٢) وهكذا؛ لأن الأحداث مهمة جداً في غربلة النفوس، أي: مهمة حتى بالنسبة لك أنت شخصياً بالنسبة لأيٍّ واحد منا من خلال الأحداث قد يتلمس ما لديه من نقاط ضعف، ما لديه من رؤى قد تكون غير صحيحة؛ فيصلح نفسيته هو ويحاول أن يصحح وضعيته.

إضافة إلى تقييم الناس لبعضهم بعض، تقييم المجتمع وغربلته من خلال الأحداث؛ لأن مستقبل أيِّ أمة تستفيد من الأحداث على هذا النحو تكون خططاً واعية قائمة على معرفة: تعرف أن هذا الإنسان كذا، وهذا كذا، وهذا كذا، وتلك القبيلة كذا، وسكان تلك القرية كذا، وهكذا، تستطيع أن تعرف فتكون خططك لا يوجَد فيها أخطاء متكررة، قد تُوكل مهمة إلى شخص أو إلى مجموعة من الناس هم في الواقع غير جديرين بأن يقوموا بتلك المهمة، وهكذا.

معرفة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قضية هامة - كما أسلفنا - في أن يعرف الناس - فعلاً - أنه نعمة عظيمة من الله؛ ولهذا قال بعد: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(آل عمران:١٦٤) وفي نفس الوقت يستوحي الناس من سيرته، يستلهمون من حركته كيف يتحركون وكيف يعملون. في نفس الوقت أيضاً لا يُعتبَر أن الأشياء كانت مجرد معجزات خارقة في كل الحركة، الله سبحانه وتعالى هو على كل شيء قدير ولكنه حكيم، تسير الأشياء وفق ترتيبات دقيقة، رسوله حكيم لم تكن أعماله عشوائية، بل تسير أعماله وفق ترتيبات دقيقة، وخطط محكمة، ورؤى صحيحة، ومعرفة حقيقية؛ لأن الفارق فيما إذا كنا نتصور أن كل ما كان يحصل كان عبارة عن معجزات خارقة، معجزات، معجزات إلى آخرها، يقول الناس من بعد: (إذاً محمد قد التحق بالله وليس لدينا شخص تأتي على يديه معجزات خارقة خارقة...إلخ، إذاً لا نستطيع أن نعمل شيئاً).

عندما تعرف بأن تلك الحركة كانت تقوم على خطط محكمة ورؤية حكيمة وترتيبات حكيمة وأنها مما هدى الله رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إليه، ومن خلال القرآن الكريم؛ ولهذا ألم يقل في القرآن الكريم بأنه: كتاب حكيم ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾(هود:١)؟ أن تكون الأشياء تسير على هذه الطريقة، معناه ماذا؟ أنها قابلة للاستمرار قابلة أن يسير جيل آخر بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفق هدى الله وفق ما يؤتيهم الله من حكمة أو ما يأخذون من كتاب الله من حكمة وما يوفقهم الله إليه من حكمة في عملهم، ولو لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) موجوداً بينهم، لكنه موجود بماذا؟ بآثاره، إذا حاولنا أن نعرفه هو وليس فقط أن نعرف أنه قاد المعركة الفلانية بتاريخ كذا وعدد كذا...إلخ، لا، تعرفه هو لتعرف كيف كان دقيقاً في عمله، وكيف كان حكيماً في تعامله مع الأحداث وتعامله مع الناس، وكيف كانت نظرته إلى الناس بشكل عام بما فيهم الأعداء.

لأن الذي حصل - فعلاً - أن الأنبياء أُبعِدوا عن قائمة أن يكونوا أشخاصاً يستلهم الناس من عملهم ما يُفيدهم في حركتهم في مجال العمل لإعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله، ترافقت عدة أشياء منها: روايات يتجلى من خلالها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وكأنه إنسان بسيط أو غبي وليس فقط بسيطاً إنما لا يفهم شيئاً كما يحكون في غزوة (بدر) أي: روايات فيما يتعلق بميدان الجهاد وحتى فيما يتعلق بحياته الخاصة، وأشياء كثيرة، قدَّموه وإذا فقط فلان يوجِّهه أن يُحجِّب نسوانه، وفلان يقول: لا، الأفضل أن نتقدم هناك على الماء لنكون

قريبين من الماء عندما نكون في مواجهة مع العدو ونسبقهم إلى الماء[١] وأشياء من هذه، يبدو شخصاً بسيطاً لا يعرف شيئاً! لا، هو كان شخصاً هاماً جداً، حكيماً وقديراً، ذكياً فاهماً، قائداً على أعلى مستوى للقيادة فعلاً، حتى إن الغربيين عندما حللوا شخصيته ومواقفه – كما يُحكى فعلاً – اعتبروا محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنجح وأعظم قائد في التاريخ.

وكيف كان على الرغم من كفاءته العالية يتوكل على الله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩).

فيما يتعلق بالمواجهة التي حصلت في يوم (أحُد) وما قبلها وما بعدها، والعادة أنها قد تحصل غنائم يغنمون عندما ينتصرون على العدو، هنا يوجد طمأنة للمسلمين أن يفهموا بأن الشخص الذي يقودهم ليس إنساناً ممن يحاول ﴿أَن يَغُلَّ﴾ الغل معناه: الأخذ من الغنائم لنفسه بطريقة خفية؛ لهذا يقال بأنه كان هناك حالة معروفة يسمونها: (الصَفِيّ) من الغنائم بطريقة معروفة علناً، خصلة واحدة يأخذها، على الرغم من أن أمر الغنائم إليه؛ لأن قضية الغنائم (قضية المال) قضية حساسة، قضية مما يحصل فيها منفذ للشيطان ولأولياء الشيطان للتشكيك في موضوع المال، فهنا يطمئنهم بالنسبة له (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وبالنسبة للأنبياء بشكل عام من قبله، أن أيَّ نبي من الأنبياء لا يمكن، لا ينبغي على الإطلاق، ولا يحصل من جانبه ﴿أَن يَغُلَّ﴾.

فيها فيما يتعلق بالمؤمنين أنفسهم بعد أن قال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَومَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾(آل عمران:١٦١) أن يعرفوا بأن القضية إذا كانت خطيرة فيما لو وقعت من نبي من أنبياء الله فهي قضية خطيرة أن تحصل من أيِّ إنسان أن يغل من الغنائم: يحاول أن يأخذ شيئاً من الغنائم خِلْسة يخبيه لنفسه. فعندما تكون القضية على هذا النحو فعلاً ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾(آل عمران:١٦١) لكن قيمتها من الناحية النفسية فيما يتعلق بالناس: الثقة، تعظم لديهم الثقة في هذا الشخص بحيث أنهم لا يرون أنفسهم في الأخير وكأنهم يقاتلون ويجمعون غنائم وهو يأخذ الجيد الجيد لنفسه ويخبيه ويعود به إلى بيته، أليس هذا يؤدي إلى حالة من الوهن في النفوس؟ هم مطمئنون، هذه قيادة ليست ممن يعطي للمال أيَّ قيمة بحيث تصبح خائفاً بأنه قد يأخذ هذا أو هذا أو هذا لنفسه. هذا على قراءة: ﴿يَغُلَّ﴾.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ حالة مقارَنة عامة أن يُقيِّم المؤمنون أنفسهم في مقابلة الطرف الآخر الذي سخط الله عليه وهم أعداؤه من الكافرين والمنافقين واليهود والنصارى ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ يُعتبَر مستوياً مع من هو في الواقع قد ﴿بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(آل عمران:١٦٢) ليطمئن الإنسان ويطمئن المؤمنون بأنهم في طريق يَحْظَون فيها برضوان الله، وأن الحالة لن تكون مستوية كحالة، أي: فيما بينهم وبين مَن هم ماذا؟ من باؤوا بسخط من الله، أي: في إطار تدبير الله سبحانه وتعالى، وهذا ما لُمِس أخيراً كيف انتهت المسألة فيما بعد، على الرغم من أنها حصلت هزيمة في (أحُد) لكن كيف انتهت القضية في الأخير؟ ألم يكونوا من اتبعوا رضوان الله هم الأعلون في الأخير؟ وتلاشى كل أولئك الذين باؤوا بسخط من الله والذين كان لهم انتصارات في بعض المواقع منها (أحُد) لكن في الأخير لم يكونوا سواءً أبداً، أولئك ضاعوا وتلاشوا وقُهِروا وغُلِبوا، ومَن اتبعوا رضوان الله كانوا هم الأعلون وتحقق لهم النصر النهائي في الصراع، ألم يحصل هذا؟ على مستوى الجزيرة أولاً، دخلوا بعد فترة قصيرة مكة فاتحين وانتهى الموضوع تماماً بالنسبة للجزيرة، انتهى. بقي (حنين) بعد الهزيمة التي حصلت في (حنين) حصلت انتصارات، المهم في الأخير انتهى أولئك الذين باؤوا بسخط من الله وتلاشوا.

هذه مهمة، أن يعرف المؤمن أنه في تدبير الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله هو الذي إليه يرجع الأمر كله، وهو مُدبِّر شؤون السموات والأرض، من المهم أن يكونوا واثقين بأن الحالة لن تكون مستوية، لن تنتهي المسألة إلى أن يكون من باؤوا بسخط من الله هم الأعلون على الإطلاق، بل تنتهي إلى هذه: تعطي الناس طمأنة باعتبار لو حصلت تقلبات أثناء حركتهم فلْيكونوا واثقين بأنهم في الأخير سينتصرون؛ لأن الآية هنا لا تذكر قضية حُكْم يقول لك: هل هم سواء الذين رضي الله عنهم والذين باؤوا بسخطه؟ تقول: لا، بل يقوم عليها تدبير إلهي، يقوم عليها طمأنة نفسية، وهم بحاجة إلى هذه بعد الهزيمة التي حصلت في (أحُد) أن يفهموا بأن القضية لن تكون سواء، وستكون النهاية غير مستوية لن تكون في صالح من باؤوا بسخط من الله على الإطلاق.

وكل الفئات – ممن اتبع رضوان الله وممن باؤوا بسخط من الله – درجات، المؤمنون أنفسهم درجات متفاوتة،

(١) إشارة إلى غزوة بدر.

الإنسان يعيش في نفسه أحياناً حالات متفاوتة في نفسه هو ناهيك عن المجتمع بشكل عام، المؤمنون متفاوتون فيما بينهم ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(آل عمران:١٦٣).

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...﴾(آل عمران:١٦٤-١٦٦) إلى آخر الآيات.

هنا عندما تأتي هذه الآية متوسطة، بعدما حصل لديهم من آثار، أي: بعدما حصل أثناء مواجهتهم للعدو من آثار سلبية على نفوسهم، كما ذكرها في كثير من الآيات، أبرز كثيراً من الآثار التي حصلت، وحصلت جروح وحصل قتل وحصلت أشياء كثيرة، عادةً الناس إذا لم يكونوا واعين إذا لم يكونوا فاهمين بالشكل المطلوب قد تتجه كل مشاعرهم السيئة إلى القيادة (أن هذا هو الأساس، هذا هو الذي سبَّب لنا كل هذه الأشياء، لولا هذا لَمَا وقعنا فيما وقعنا فيه) وهكذا.

فهو هنا يُنبِّه المؤمنين بأنه على الرغم مما حصل لكم: حصل قتل، حصلت جراحات، حصلت آثار نفسية فيما يتعلق ببعد الهزيمة أشياء كثيرة، يجب أن تكونوا متذكرين وذاكرين أن الله قد مَنَّ عليكم بنعمة كبيرة جداً هي ذلك القائد الذي يقودكم، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وأن مهمته بالنسبة لكم هي أن يعلِّمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم، مهمة عظيمة جداً تهون معها كل المصائب التي نالتكم من قتل وجراحات وآثار نفسية بعد الهزيمة.

فيما يتعلق بالعدو دائماً العدو يحاول أن يوجِد هوَّة فيما بين القائد والجنود، فيما بين الأمة وقيادتها، بأن يحاول أن يوحي لتلك الأمة بأن (انظروا كيف دخلنا في مصائب ومشاكل وأشياء من هذه، كلها بسبب فلان، بسبب فلان...إلخ). ظهرت هذه في أيام (الإمام الخميني) هجمة إعلامية من قبل الإعلام الغربي والعربي أيضاً، وكان هناك محطات موجَّهة إلى داخل إيران باللغة الفارسية، محطات إذاعية وتلفزيونية وغيرها من وسائل الإعلام موجَّهة إلى الشعب الإيراني ليقولوا لهم: (انظروا كيف أصبحتم، أصبحتم في عزلة عن العالم، وأصبحتم في مشاكل مع العالم، وأصبحتم في حروب، وتدمَّر كثير من مدنكم، كلها بسبب الخميني) وهكذا؛ ليوجِدوا هوَّة فيما بين القائد وما بين المجتمع، وتذمُّراً من هذا القائد ومحاولة للتمرد عليه، أو محاولة رفض لتوجيهاته.

هذه الحالة تمثل ضربة رهيبة للأمة إذا استطاع العدو أن ينجح فيها؛ ولهذا كانت مهمة جداً أن يذكِّر المؤمنين لأنها قد تحصل مشاعر من هذه، بأن أعظم نعمة عليكم هو ذلك الرجل العظيم الذي مَنَّ الله به عليكم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وكانوا فعلاً من قبل في ضلال: أمة تائهة، أمة ضائعة، أمة لا وزن لها.

لهذا جاءت هذه الآية متوسطة يذكر قبلها ما حصل من قتل وجروح وآثار نفسية، ويأتي أيضاً بعدها ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيهَا﴾(آل عمران:١٦٥) بالنسبة للعدو يجب أن تنظروا إلى أنكم قد أثرتم في العدو هذه هي تُعتبَر حالة تساعدك على أن تتحمل العناء الذي أنت فيه أن العدو أيضاً قد ناله كما نالنا أو أكثر، سواءً في تلك المعركة أو فيما سبق ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيهَا﴾ بالنسبة للعدو قد ناله من جانبكم مثل ما حصل عليكم مرتين ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾(آل عمران:١٦٥) ﴿أَنَّى هَذَا﴾ خطيرة؛ سيقولون: (مِن فلان) أليس كذلك؟ ولهذا جاء بالآية الأولى قبلها ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٦٤) معناه لم يعد هناك شيء أن يقولوا: (فلان) بل يتذكرون أنه نعمة عظيمة عليهم.

﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ من أين أُتينا؟ ما السبب؟ كيف وقع علينا هذا الشيء؟ وكيف؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾(آل عمران:١٦٥) لأنكم أنتم تنازعتم، فشلتم، عصيتم الرسول، تنازعتم في الأمر ﴿مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ﴾(آل عمران:١٥٢) هو من عند أنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾(آل عمران:١٦٥) أي: السبب الرئيسي هو مِن عندكم، السبب الرئيسي لِمَا نالكم هو من عند أنفسكم؛ ليحذروا في المستقبل، وليعرفوا بأنه إذا ما حصل من جانبهم أخطاء، والأخطاء متفاوتة، هناك أخطاء تحصل عليها عقوبات، وقد يكون هناك أخطاء يحصل تدارك إلهي كما قال سابقاً: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾(آل عمران:١٢٢) لكن تلك الأخطاء في الميدان غير طبيعية أن تحصل ﴿مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ﴾ يحصل فشل وتنازع في الأمر وعصيان في الميدان قضية خطيرة جداً ليست سهلة، فحصل ما حصل نتيجة لهذه الأخطاء الرهيبة، لكن الأساس ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾(آل عمران:١٦٦) هو أذن سبحانه وتعالى ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ دون أن نقول: (كيف كان إذن الله؟ كيف تمت؟ هل معناها علمه، أو معناها دفعهم، أو معناها أو معناها...؟) بإذن الله والله سبحانه وتعالى هو من يحمد نفسه وينزه نفسه هو الذي ينزه نفسه، بإذنه فعلاً، أي: ما حصل: أن يضربكم المشركون فتحصل تلك النتيجة السيئة الله أذن بهذا، درس لِمَا حصل وعقوبة لِمَا حصل، ومع هذا يتدارك المسألة بشكل كبير ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾(آل عمران:١٥٢) ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾(آل عمران:١٥٥) وهكذا، وعفو من جهة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) واستغفار حتى لا تسير النتيجة إلى الشيء الطبيعي لها وإلاّ قد تكون آثارها سيئة فعلاً.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٦٦) يتبين المؤمنون ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يظهر المنافقون أولئك ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَو نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يومَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾(آل عمران:١٦٧، ١٦٨) هؤلاء المنافقون نوعية سيئة جداً ما كفاهم أنهم قعدوا بعد أن قيل لهم: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ إذا كان عندكم حرية على الأقل أن تدافعوا ﴿قَالُوا لَو نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنَاكُمْ﴾ ولم يسكتوا في الأخير لا يزال يأتي من عندهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾(آل عمران:١٦٨) أليسوا في هذا يحاولون أن يظهروا بأنهم أشخاص حكماء ورؤيتهم حكيمة ويجعلون الآخرين يحزنون ويعتبرون أنفسهم وقعوا في غلطة كبيرة جداً؛ لأنهم ما كانوا كأولئك المنافقين أو ما استمعوا لأولئك المنافقين؟ ﴿لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(آل عمران:١٦٨) لأنه عندما يقول: ﴿لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ أليس هنا يُقدِّم المسألة وكأنها حتمية؟ ما أدراه بهذه؟! إذا كنتم ترون أن آراءكم نتائجها حتمية إلى هذه الدرجة ﴿فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذا المقام فقط الذي حصل كما قلنا أكثر من مرة ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾(آل عمران:١٦٧) دافعوا عن وطنكم، دافعوا عن نفوسكم، لمن وجهت هذه؟ للمنافقين فقط أمَّا المؤمنون والمسلمون بشكل عام فدائماً يقال لهم ﴿فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ في سبيل الله.

المنافقون هم فئة متذبذبة عادة، وفئة لا تهدأ، ومن العجيب أنهم يكونون أقرب إلى العدو الذي ماذا؟ لو دخل بلدهم لاستباحها كلها، لا يعرف أين بيت المنافق وبيت المؤمن، ولانتهك أعراضهم ونهب أموالهم، هل سيفرِّقون فيعرفون أين بيت المنافق؟ مع هذا يكون عنده ميل للعدو، هذا شيء سيئ جداً، وغريب جداً من النفوس المنافقة، نفوس غريبة جداً، وضعيتها غريبة جداً ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَومَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾(آل عمران:١٦٧).

إذاً فهمْنا من غزوة (أحُد) تبيَّن منافقون، ووجَّه هجوماً على المنافقين؛ لأن المنافقين عندما تظهر لهم حركة، فالمفروض أن يكون هناك ما يقابَلون به مما يحطم معنوياتهم، ويُظهر الناس أمامهم بأنهم لا يتأثرون بمقولاتهم، ولا يتأثرون بتضليلهم، ولا يتأثرون بتثبيطهم؛ لهذا قال هنا: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(آل عمران:١٦٨) لأن المنافقين عادةً ينشطون في حالات كهذه، في حالات صراع ينشط المنافقون أمَّا عندما تكون الكفة تميل لصالح العدو فينشطون أكثر.

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٦٩-١٧١) كما قال سابقاً: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٦٦) تحدَّث عن المؤمنين: مؤمنين استشهدوا، ومؤمنين انطلقوا وهم جرحى ليلحقوا العدو، مؤمنين كان كلامهم كلاماً قوياً في مواجهة دعاية مُعيَّنة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(آل عمران:١٧٣) في هذا يَتبيَّن عظمة الشهادة، وفضل الشهادة في سبيل الله ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ لأنهم في الواقع والمنافقون يقولون: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾(آل عمران:١٦٨) هؤلاء الذين تقولون ﴿مَا قُتِلُوا﴾ هم حَظَوا بفضل عظيم ومقام رفيع، درجة عالية.

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ هم أحياء لا يقال لهم أموات، ولا تظن بأنهم ماتوا، هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ بما تعنيه الكلمة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الله أعلم في أيِّ مكان، في الجنة، أو في كوكب آخر الله أعلم أين، المهم أنهم في مكان، وبالطبع عندما يقول: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فإنه مكان رفيع، قد تكون الجنة أو شيء كالجنة، إذا قلنا الجنة قد خُلِقَت أو ما قد خُلِقَت كما يقول البعض. ﴿يُرْزَقُونَ﴾ على ما يبدو أنها حياة كاملة، حياة حقيقية،

﴿يُرْزَقُونَ﴾، ﴿فَرِحِينَ﴾، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ أليست هذه عبارات تدل على الحياة الحقيقية؟ أيضاً مستبشرون بالنسبة لمن بعدهم من الناس المؤمنين الذين يجاهدون في نفس الطريق التي استشهدوا فيها أنهم أناس ﴿لاَ خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يُخاف عليهم ولا حزن عليهم من أيِّ طرف كان، أنها طريقة فيما لو حصل على أحد منهم فيما لو حدث أن يُقتَل أنه ماذا؟ سيلحق بهم وينال هذه الدرجة العظيمة عندما يُقتَل في سبيل الله.

أن تكون هذه الآية في مقام بعد الحديث عن المنافقين: ﴿لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾(آل عمران:١٦٨) أليس فيها تفنيد لرؤيتهم هم؟ تفنيد لرؤيتهم؛ لأنه عندما تقول: (إنهم مَا كانوا ليُقتلوا) لكن لاحِظ القتلى أين هم؟ إذاً فأنت عندما تَعتبِر أن رؤيتك صحيحة، وكان الأفضل لهم ألاّ يُقتَلوا معناه عندك أنت أن الأفضل لهم ألاّ ينالوا هذه الدرجة الرفيعة، هذه الحياة الأبدية عند الله: يُرزقُون، فرحين، مستبشرين، إذاً معناه أنه لا قيمة لكلامه ويجب أن يواجَه بمثل هذا، في أيِّ ظرف يكون الناس فيه يُواجَه المنافقون بكلام شبيه بهذا بما تضمنته هذه الآية وغيرها من الآيات، عندما يقول: (اتركْ، ولا شأن لك، و، و، و...إلخ) تقول له في الأخير: فيما لو وقع عليَّ شيء من هذا، فيما لو قُتِلت في سبيل الله، أليست فضيلة عظيمة ودرجة عالية؟ إذاً فأنت تحاول أن تحول بيني وبين ما هو فضل عظيم وبين ما هو حياة ليس فيه موت على الإطلاق إلاّ مجرد الانتقال، الانتقال فقط قد يكون لحظات.

فهل يمكن أن يكون ناصحاً أو يكون رأيه صحيحاً وصائباً من تكون توجيهاته تحول بين الإنسان وبين مقام رفيع وفضل عظيم؟ أبداً، لا يمكن أن يُسمَّى ناصحاً وإن كان هو ناصحاً في نفس الوقت لكن منطقه ليس منطق الناصح ولا يعرف كيف ينصح، قد يصدر مثلاً من قريب لك يوجهك لتترك وأشياء من هذه، لكن يجب أن تفهم بأن ما يقوله هو وإن كان من واقع النصيحة، لكنه في الواقع لا يعرف النصيحة، لو كان يعرف هذا الفضل العظيم – إذا كان ناصحاً لك – فالمفروض أن يدفعك إلى أن تناله، أمَّا إذا كان منافقاً فتوبخه توبيخاً.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٧١) إذاً بدل الحياة حصل لهم حياة أفضل، وبدل هذه الحياة على الأرض حياة في عالَم آخر أرقى وأفضل، ويكفي أن فيها الأمن، يكفي الإنسان الأمن أن يعرف بأن مصيره أصبح مصيراً مضموناً أنه من أهل الجنة ولا خوف عليه ولا حزن، هذه في حد ذاتها تُعتبَر نعمة كبيرة جداً؛ لأن الإنسان في الأرض هنا يكون قلقاً، أي: لا يعرف كيف قد تكون نهايته، ليس لديه ضمانة مؤكدة تماماً بأنه إلى الجنة وإن كان في طريقها، لا يعرف كيف ستكون النهاية بالنسبة له، أمَّا الشهيد فهو حيّ وقد عرف أنه من أهل الجنة وفي نفس الوقت هو في جنة: الجنة الحقيقية، أو جنة أخرى، لم يعد هناك موت بالنسبة له، ولم يعد هناك قلق بالنسبة له على الإطلاق، هذه الحالة وحدها تُعتبَر نعمة كبيرة جداً أنه قد أَمِنَ عذاب الله، قد أمن جهنم، قد أمن من سوء الحساب، قد أصبح يَقطع بأنه من أهل الجنة.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(آل عمران:١٧٢) يبدو أن هذه فئة من المؤمنين طاردوا المشركين بعد هذه الهزيمة وبعد الجراحات. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(آل عمران:١٧٣) لا تزال تابعة لقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا...﴾(آل عمران:١٧١، ١٧٢) إلى آخر الآية.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ تجد هذه لها أثر هام جداً فيما يتعلق بالجانب النفسي، وفي جانب الحرب النفسية فيما يتعلق بالعدو، بعد الجراحات بعد الهزيمة، يطاردون العدو حتى لا يفرح بأنه انتصر.

في نفس الوقت عندما تحصل أيُّ عبارات، عبارات فيها إرجاف فيها تخويف فجوابهم جواب الثابتين، هنا سيلمس العدو بأن أمامه أمة ثابتة، مؤمنين ثابتين، لا يؤثر فيهم الإرجاف، لا يؤثر فيهم التخويف ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ ثقة بالله ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ الله كافينا، سنلتجئ إليه ونعتصم به ونسير على هديه ونتولاه ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ليس هناك أحد يمكن أن يكون كمثله نَكِل إليه أمورنا، نعم الوكيل الله سبحانه وتعالى، نَكِلُ إليه أمورنا وسنتحرك وليكن ما كان، هذه عبارة عملية ليس معناها (نحن سنقعد والباري سيقوم باللازم)! سنتحرك ونواجه معتمدين على الله، والله ذكر في آيات كثيرة حثاً للناس أن يعتمدوا عليه أن يتوكلوا عليه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾(النساء:٨١) ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾(النساء:٦) هنا يقول: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(آل عمران:١٧٣).

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(آل عمران:١٧٤)

فلاحِظ كيف تكون النتائج كلها طيبة بالنسبة للمؤمنين، إن قُتِل في سبيل الله فتلك الحياة عند الله، رزق وفرح واستبشار...إلخ، أو كانوا لا يزالون في حالة المواجهة فهم ثابتون، لاحِظ الثبات يتمثل أيضاً في الكلام، أي: أن يكون الناس دقيقين في منطقهم لا يظهر من جانبهم على الإطلاق أيُّ عبارات جَزَع، بل كلها عبارات قوة، كلها عبارات ثبات، كلها عبارات التجاء إلى الله سبحانه وتعالى، وتكون نتائج طيبة ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

من أخطر ما يكون على الناس هي تلك الأخطاء، أمَّا كون العدو كبيراً، أو كون العدو قد حشد، أو كونهم قليلاً، أو أشياء من هذه فلم تُقدَّم هنا بأنها بالشكل الذي يُقعِد الناس، أو أنها خطيرة بالشكل الذي قد يقعدهم، لا، الخطورة كلها تتمثل في تصرفات تأتي من عندهم: عصيان، مخالفة، تنازع في الأمر، عبارات يقولونها تنبئ عن ضعف، تشد نفسية العدو، ترفع من معنوية العدو، هذه هي الخطيرة.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٧٥) التخويف هو مما يركّز الشيطان على محاولة تعميمه وإثارته في أوساط المجتمع، لكن عادةً الشيطان لا يستطيع أن يكون مؤثراً فيوجد تخويفاً التخويف الذي قد يحصل معه التفكير بالتراجع أو هبوط في المعنويات وضعف في النفسية إنما يكون ماذا؟ أولياؤه يتأثرون، أولياؤه في الأخير يشتغلون مع الآخرين ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءَهُ﴾ لا يستجيب للشيطان ولا يتأثر بالشيطان إلاّ أولياؤه، أمَّا المؤمنون فالله قال: ﴿إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(النحل:٩٩).

هذه نوعية من المؤمنين الذين لا يتأثرون: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ﴾ هل حصل عندهم حالة خوف؟ لا، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(آل عمران:١٧٣) مع أن حالة الخوف تؤدي إلى هبوط في الإيمان، أن يزدادوا إيماناً، أي: ليس لديهم تخوف من أن يدخلوا في مواجهة مهما كان العدو، عندما يحصل خوف، ويحصل اضطراب، فإنه يحصل هبوط في موضوع الإيمان كما قال سابقاً: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(آل عمران:١٥٤).

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ﴾(آل عمران:١٧٥) لا تخافوا أولياءه؛ لأن كل مَن هم في مواجهتكم إنما هم أولياء للشيطان، الله قد قال: ﴿فَقَاتِلُوا أَولِيَاءَ الشَّيطَانِ إِنَّ كَيدَ الشَّيطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(النساء:٧٦) وأنتم وليكم الله، والله هو القوي العزيز. ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾(آل عمران:١٧٥) عندما تخافونهم فيحصل تراجُع يحصل قعود يحصل تخلف فمعناه أن هذه الحالة قد تجعل الناس مستحقين لعقوبة من الله، فيجب على الناس أن يخافوا الله هو، لا يخافون من أولياء الشيطان، لا يخافون من دعاياتهم، لا يخافون من إرجافهم، لا يخافون من عبارات أنهم قد حشدوا وأنهم، وأنهم...إلخ، يجب أن نخاف من الله وحده ﴿إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٧٥).

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءَهُ﴾(آل عمران:١٧٥) مما قيل في تفسيرها أيضاً: يُخوفكم أولياءه، أي: يخوفكم مِن أوليائه، حتى لو كانت القضية قد تحصل باعتبار أن المؤمنين يكونون أصحاب نفوس متفاوتة، فقد يحصل مثلاً عند كثير منهم أن يتأثروا، لكن لَمَّا كان المقام هنا هو مقام حديث عن مؤمنين، أليس مقام حديث عن مؤمنين؟ لا يتناسب أن تأتي العبارة بهذا الشكل (إنما ذلكم الشيطان يخوفكم أولياءه) على الإطلاق؛ لأن الله يقول في آية أخرى ﴿إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(النحل:٩٩).

فالشيطان هو يخوف أولياءه الذين يتأثرون به حتى لو كانوا من داخل المجتمع المؤمن، وهذا هو الشيء الطبيعي أنه من داخل المجتمع المؤمن، سواءً كانوا منافقين أو أناساً في قلوبهم مرض أو أناساً ضعيفي إيمان، ضعيفي نفوس، هذا قد يحصل، لكن لكونهم يشملهم اسم مؤمنين فلا يمكن في التعبير أن يقول هناك: ﴿لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم يقول هنا: (يخوّف الذين آمنوا) لأن معنى (يُخوِّفهم) أي: يوقعهم في حالة من الخوف، أي: هنا أصبح له تأثير عليهم فكأنه ماذا؟ أصبح له سلطان؛ ولهذا جاء بعد: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ فلا تخافوهم، أي: فلا تخافوا مَنْ؟ أولياء الشيطان؛ لأن الشيطان عندما يخوف أناساً هم في الواقع عندما يؤثر فيهم هم أناس عندهم ثغرة خطيرة جداً، ليسوا بمستوى المؤمنين الذين ماذا؟ ليس له سلطان عليهم.

التخويف الذي يأتي لهؤلاء هو يخوفهم ممن أيضاً؟ من أولياء له آخرين، يخوف أولياء له من أولياء آخرين، وسيشتغل هؤلاء الأولياء الصغار داخل المجتمع المسلم لتخويف مؤمنين، فيجب أن يكون المؤمنون الآخرون الصادقون على هذا النحو: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(آل عمران:١٧٣) وتحذير للكل ﴿فَلاَ

﴿تَخَافُوهُمْ﴾(آل عمران:١٧٥) لأن الشيطان لا يأتي إلى أناس يخوفهم من أناس مؤمنين يخوف مؤمنين من مؤمنين، سيخوف مؤمنين باعتبار الانتماء لكن في إيمانهم ضعف أمكن للشيطان أن ينفذ إلى أنفسهم فيخوفهم ممن؟ من أوليائه من الكافرين، أعداء الله هم أولياء الشيطان.

ينطلقون في الأخير إلى أن يقوموا بعملية تخويف، التخويف يشبه هذه: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ﴾(آل عمران:١٧٥) (قد صاروا متجمعين، قد صار لديهم كذا، قد صاروا يريدون كذا) تخويف في المجتمع، وهذه القضية يجب أن تُحارَب بعبارات تبلغ الطرف الآخر وبعبارات يكون فيها تبكيت لهؤلاء؛ ولهذا جاء في آية أخرى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَينَمَا ثُقِفُوا﴾(الأحزاب:٦٠، ٦١) ملعونين؛ لأنهم يقومون بعمل قد يترك أثراً عند بعض من الناس ﴿مَلْعُونِينَ أَينَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾(الأحزاب:٦١).

من واجب المؤمن نفسه عندما يقوم بعملية مقارنة مع أنها غير لائقة بالمؤمن حتى يقارن بين أولياء الله وأولياء الشيطان، ومَن الذي يجب أن يكون هو الأقوى: أولياء الله المعتمدون على الله القوي العزيز المتوكلون عليه الموعودون بنصره وتأييده أم أولياء الشيطان الذين الشيطان نفسه ليس ناصحاً لهم؟ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ﴾ الشيطان نفسه ليس ناصحاً لأوليائه، الشيطان ضعيف وأولياؤه ضعاف ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيطَانِ إِنَّ كَيدَ الشَّيطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(النساء:٧٦) أولياء الشيطان مهما كثروا فهم في دائرة الضعف ومهما عظم ولاؤهم للشيطان فمعناه ماذا؟ اشتد ضعفهم، كلما كانوا أكثر ولاءً للشيطان كانوا أكثر ضعفاً.

تجد هنا في مجمل هذه الآيات كم فيها من توجيهات وهي تبدو أمام حادثة واحدة، أليست حادثة واحدة؟ يوم واحد كم أمامنا من توجيهات كثيرة؟ إذاً هكذا يجب بالنسبة للمؤمنين أن يكونوا هم حركيين في موضوع التوجيه، أي: لا يتركون أبداً لأيِّ طرف أن يترك تأثيراً في داخل صفهم أبداً سواءً بطريقة وسائل الإعلام المعروفة أو عن طريق أشخاص من الداخل. يكون هناك من لديهم إجابات تُبيِّن قوَّتهم، تُبيِّن أنهم لا يخافون، تُبيِّن أنهم ثابتون، وفي نفس الوقت تكون بالشكل الذي يحطم نفسيات هؤلاء، وتبكيتاً لهم، عندما يكونون لا يزالون محسوبين من صف الناس تقول له: (اسكت، لا يجوز لك أن تقول بهذا الكلام نهائياً، أنت واحد من الناس كيف تقوم بعملية تخويف؟!) لأن الشيء الطبيعي أن العدو عندما يكون هناك مُجهِّزاً للناس فإن الناس ينطلقون لماذا؟ ليُعِدُّوا كل ما يملكون من قوة ويشجع بعضهم بعضاً، هذا هو التصرف الصحيح، وليس أن يكون العدو يحشد قوة كبيرة في مواجهة المجتمع وفي نفس الوقت يأتي أشخاص من داخلهم يخلخلون الناس، أليس معناه أنهم هنا يُجهِّزون المجتمع لأن يُضرَب؟!

التصرف الطبيعي هو ماذا؟ هو أن يشد بعضهم بعضاً، هو أن يكونوا مستعدين، هو أن يشجع بعضهم بعضاً؛ لأن هذه الحالة تصبح ضرورية كلما ظهر وكأن العدو أكثر إعداداً وأكثر حشداً، إذا كان أكثر إعداداً وأكثر حشداً فيجب أن يكون الناس أكثر تشجيعاً لبعضهم بعض وأكثر إعداداً وأكثر ثباتاً وأكثر قوة؛ لهذا كان عملاً سيئاً جداً في هذه الآية عندما قال: ﴿مَلْعُونِينَ أَينَمَا ثُقِفُوا﴾(الأحزاب:٦١) لأن تصرفهم تصرف خطير جداً وتصرف شاذ بشكل رهيب جداً، حينما يكون العدو يحشد وأنت تزيد الطين بلة، تحاول أن تخلخل المجتمع ليكون ضعيفاً في مواجهتهم.

الآيات هنا تُبيِّن بأن الأطراف الأخرى المعادية تشتغل: الشيطان، أولياؤه، المنافقون، العدو نفسه من جهته يشتغلون باستمرار، تلاحِظ كيف أن التربية القرآنية تربية عالية جداً، أنه حتى لو حصلت هزيمة فإنه يوجِّه مجتمع المؤمنين الذين عانوا من هزيمة مُعيَّنة إلى كيف يكونون بهذا الشكل الذي يجعل هزيمتهم وكأنه ليس لها أثر، ويجعل العدو هو الذي ينهزم نفسياً، قضية هامة، وهذا مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى وشمول هديه للناس أنه يهدي في كل الظروف: يهدي وهم متجهون إلى الميدان، يهدي في نفس الميدان، يهدي عندما ينتصرون، ويهدي فيما لو انهزموا كيف يجب أن يكونوا.

﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾(آل عمران:١٧٦) لأن هذه مما قد تكون من الآثار التي تكون مترتبة على هزيمة لجانب المؤمنين أشخاص مُعيَّنين ممن كانوا منافقين أو مضطربين وكان فيهم ميل إلى الكفر ومسارعة إلى الكفر ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَن لاَ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(آل عمران:١٧٦) فلا يحزنك هذه النوعية، لا يحزنك أن ترى أناساً قد أصبحوا متجهين إلى الكافرين، وعندما يتحركون في الساحة فهنا توجيهات: كيف يواجههم، وكيف يواجههم الناس بشكل عام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(آل عمران:١٧٧) والمنافقون يكونون دائماً خاسرين، فعندما يرى أن الجانب الآخر انتصر في معركة مُعيَّنة فيعتقد أن كفتهم قد صارت راجحة فيتجه إليهم، في الأخير كيف أصبحت القضية؟ ألم يتلاشَ الكافرون وتلاشى اليهود الذين كان بعض المنافقين يقولون لهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾(الحشر:١١)؟ يُبيِّن بأن المنافقين ليس لديهم رؤية، ليس لديهم معرفة، ليس لديهم نفوس مستقرة، كل قراراتهم فاشلة، وكل النتائج بالنسبة لهم تكون خاسرة.

لاحِظ هنا كيف شمول الموضوع، كيف يتناول كل الفئات: مؤمنين ثابتين يثني عليهم، مؤمنين حصل عندهم نوع من خوف كيف كانت رعاية الله بالنسبة لهم، منافقين يُبكّتهم ويتوعدهم بالعذاب الأليم في هذه الآية، الطرف الآخر الكافر نفسه كذلك، فهنا يُقدِّم منهجاً بأن تعرف بأنه في حالة الصراع تظهر حالات كهذه في حالة أن يحصل انهزام لطرف المؤمنين تحصل حالات كهذه، تكون أنت عارفاً كيف تتخاطب مع كل فئة، فمع العدو يأتي من جانبك عبارات تُظهِر بأنك لم تتأثر، وأنك لا تزال مستعداً للمواجهة، بل على أعلى مستوى.

لاحِظ كيف المثل الأعلى الذي ضربه من خلال المؤمنين السابقين (الرِّبيون) الذين قال عنهم مع أنبياء سابقين كيف قالوا؟ ﴿وَمَا كَانَ قَولَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾(آل عمران:١٤٧) ثبتنا بأن ننتصر عليهم على الرغم مما أصابهم. المنافقون نفس الشيء يقال لهم بأن قراراتهم نتائجها خاسرة، آراؤهم فاشلة، ويتجلى في نفس المجتمع بأنه ليس هناك تأثير ولا أثر لعملهم، ولكل ما يقولونه من عباراتٍ تُخلخِل الناس.

﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(آل عمران:١٧٨) ألم يتكلم عن المنافقين؟ ثم تكلم عن الكافرين، كلها بعبارات ماذا؟ فيها ما يُبيِّن أنهم خاسرون وألاّ يفرحوا بما رأوا أنفسهم عليه، ويتوعدهم بالعذاب الأليم وبالعذاب المهين في الآخرة، بل قد يكون أشمل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ليست فقط تنصرف إلى موضوع جهنم بل وفي الدنيا أيضاً يحصل عذاب أليم ويحصل في الآخرة ذلك العذاب الذي هو أشد ألماً.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيبِ﴾(آل عمران:١٧٩) إذاً أليس في هذه ما يُبيِّن أن هناك قيمة كبيرة من خلال ما حصل؟ أي: أنه فيما لو حصل هزيمة مُعيَّنة تحاول أن تترفع عن آثارها السلبية على نفسيتك، وتحاول أن تبحث عمَّا فيها من ماذا؟ من آثار إيجابية قد لا تحصل إلاّ في أجواء كهذه، في أجواء الانتصار لا تحصل، يكونون كلهم مُدَّعِين أنهم مخلصون، وكلهم مؤمنون، وكلهم صادقون، وكلهم ثابتون، وكلهم في نفس الاتجاه، و...إلخ. حالة الهزيمة يكون فيها أشياء تتجلى من خلالها لا تتجلى في أي وضعية أخرى في الغالب، كما قال سابقاً: ﴿وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾(آل عمران:١٦٦، ١٦٧).

هنا يُبيِّن وكأنها سنة إلهية: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيهِ﴾ لأنه يحصل ماذا؟ هنا عملية خداع وكأنهم يخادعون الله ويخادعون الذين آمنوا، تأتي مواقف مُعيَّنة يَظهَرون فيها ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ﴾ هذا بالنسبة للمؤمنين كعنوان بشكل عام؛ لأنه عندما يكون بالنسبة للإنسان مَن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله اعتبروه قد أسلم وقد دخل مع المؤمنين، أليس يحصل هكذا؟ فمجتمع المؤمنين، أي: المجتمع الذي هذه هويته وينتمي إلى هذا الاتجاه الإيماني قد يكون في الداخل على هذا النحو: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قد يدخل أناس خبثاء، أو يَخْبُثون من بعد، وإيجابياتها هامة إيجابياتها بالنسبة لهم هم، هذه الفئة الخبيثة يظهر من جانبهم أشياء، فيحصل تبكيت لهم، يحصل توبيخ لهم، يحصل حذر عند المؤمنين الصادقين منهم، وللمستقبل في المسيرة يكونون عارفين تماماً من خلال التمييز عارفين تماماً من يُعتمَد عليه ومن لا يُعتمَد عليه.

هذا توجيه إلى: كيف يستفيد الناس من خلال الإيجابيات، قدَّم كثيراً من الأشياء قد تُعتبَر إيجابيات، بأنك تَعتبرها دروساً لا تحصل إلاّ في حالة كهذه، مثل الطبيب نفسه أليس يستفيد أثناء العمل من المرضى؟ عندما يأتي إليه مرضى يستفيد معرفة للأسباب، وللأمراض كيف تتطور، وكيف تكون أسبابها، وكيف تنتهي إليه.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيبِ﴾ ليكون الإنسان عارفاً لذلك الشخص الفلاني هو طيب والشخص الفلاني خبيث ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾(آل عمران:١٧٩) قد يجتبي من رسله مَن يطلعه على الغيب

فيعرف الأشخاص، لكن الأحداث نفسها هي تساعد على تميُّز الخبيث من الطيب، وهذه لها إيجابية هامة جداً؛ لأنه بالنسبة للمجتمع من خلال أحداث مُعيَّنة يتبيَّن مَن هم الخبثاء فيهم فيكونون هناك معروفين فلا يعودون يتأثرون بهم، ويعرف الطرف الذي مثلاً يقوم بتوجيه الناس، وقيادتهم، يعرف هو في نفس الوقت كيف يكون توجيهه بالشكل الذي يُبعِد الناس عن أن يكونوا كأولئك، أو أن يتأثروا بمثل تلك النوعية، وهذه نفسها قد تجدها في الإسلام بشكل عام، هو قائم على أساس أنه غير قابل للاختراق، فمن اخترقوا في الصورة لأنهم قالوا: (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) ودخلوا، أليست كلمة كان من الممكن لأيِّ واحد أن يقولها؟ هناك حالة سيتبين فيها ويتميَّز الخبيث من الطيب، إذاً فلن يكون في موقع قرار حتى يكون مؤثراً، وهو في الساحة من خلال أحداث مُعيَّنة سيتغربل الناس فيعرفون هذا الخبيث فيكونون أبعد ما يكون عن التأثر به.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(آل عمران:١٧٩) إن حصل إخبار من جانب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عن أشخاص مُعيَّنين فيجب أن تؤمن؛ لأنه قد يخبرنا عن أشخاص كيف ستكون نهايتهم أو كيف سيكون واقعهم أو كيف واقعهم في نفس الوقت، فيجب أن يكون لديك إيمان بهذه، وإن بدا لك وكأن ذلك الشخص بعيد في نفس الحالة الراهنة في واقعه الآن.

يتناول هنا أيضاً جهة من بخلوا بالإنفاق في سبيل الله، هاجم المنافقين والكافرين، أيضاً الذين بخلوا بالإنفاق في سبيل الله، لم ينفقوا في سبيل الله هنا يُبيِّن أهمية الإنفاق في سبيل الله وأنها قضية هامة جداً ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيرًا لَهُم﴾ أن بخلهم كان هو خيراً لهم ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَومَ القِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(آل عمران:١٨٠) هو الذي سيرث الكل، سيجعل ما بخلوا به من الأموال – كما يقال – أطواقاً من نار يُطوَّقون بها يوم القيامة؛ لأنه في حالة هزيمة مُعيَّنة وهناك أشخاص مثلاً لم ينفقوا سيقولون: (أرأيتم؟ لو أنفقنا لضاعت أموالنا بدون فائدة، هم هؤلاء انهزموا) لا، إن عليهم أن ينفقوا وليس عليهم كيف ستكون النتائج، ينفقون.

لاحِظ كيف جعل من هذه الغزوة مدرسة متكاملة من تلك المعركة معركة (أحُد) كم فيها من معلومات من توجيهات من أشياء عجيبة وواسعة.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَولَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾(آل عمران:١٨١) عاد الكلام إلى بني إسرائيل ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ * الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَينَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾(آل عمران:١٨٢، ١٨٣) عندما يقولون: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ اليهود هم من قالوا هذه، هذه عبارة سيئة جداً وتكشف جُرْأتهم على الله، عندهم جُرْأة على الله عندما يقولون: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَينَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(آل عمران:١٨٣) هذا من الجواب الذي يفضح، وإن لم يكن جواباً على نفس الموضوع بحيث يتجه ليقول: (إذاً رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو معه أشياء كذا ومعه، ومعه...إلخ). يفضحهم أولاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾: يأتون بقربان، وتأكله النار، وقتلتموهم ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾(المائدة:٧٠) فَلِمَ قتلتموهم وقد جاؤوا بما قلتم إن الله عهد به إليكم؟!

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾(آل عمران:١٨٤) لاحِظ في هذه الآيات أول شيء فيما يتعلق بقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ هذه الحالة حكاها عمَّن؟ عن أناس سيئين حتى يكون الناس المؤمنون بعيدين عن أيِّ خواطر تكون قريبة من هذه المقولة باعتبار أن الناس يعرفون اليهود ويعرفون واقع اليهود وإنما هم قالوا هذه، فيكون الناس بعيدين عن أيِّ خواطر تكون قريبة من هذه المقولة، عندما يجدون أنفسهم – مثلاً – يعملون في سبيل الله يجدون أنفسهم فقراء يجدون إمكانياتهم قليلة، ويجدون في نفس الوقت الأعداء الآخرين لديهم إمكانيات هائلة، أو يجدون هنا حثاً كبيراً، حثاً بالغاً على الإنفاق أن ينفق الناس، هناك قدَّم بالنسبة لقضية المال وحث الناس على أن ينفقوا هو فَتْح لباب من الفضل من مضاعفة الأجر، بحيث يمكن للإنسان أن يستغل ولهذا قدَّم المسألة بشكل عام تستغل حياتك، تستغل موتك، تستغل مالك، تستغل كلامك، تستغل كل شيء في سبيل أن تكون نتائجه طيبة بالنسبة لك، فضل عظيم وأجر عظيم من الله سبحانه وتعالى.

ثم إن المال له أثره النفسي بالنسبة للإنسان، له أثر نفسي كبير وأثر فيما بين الناس بشكل عام، فعندما يأمر

الناس أن ينفقوا في سبيله، ليس معناه بأنه بخيل أو أنه ليس مستعداً أن يعطيهم شيئاً أو ليس لديه شيء، إنما فقط هم يقومون بأنفسهم! أولاً هو يقول للناس بأن ما عندكم هو منه، إذاً فهل يمكن أن تقول هنا بكلمة فقير أو بخيل مثلما قال اليهود؟! لأن ما لديك هو لله ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(الحديد:٧) ولهذا قال سابقاً: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(آل عمران:١٨٠) كيف يمكن أن تسميه بخيلاً أو تسميه فقيراً وكل ما لديك هو من عنده، قليلاً أو كثيراً؟! وما يدعوك إلى أن تنفقه إنما يدعوك إلى أن تنفق جزءاً مما أعطاك هو. هذا معناه أنه مهم جداً ولهذا قدَّم هذه الآية قبل قول اليهود، ألم يقل في البداية: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ آتاهم الله ﴿مِن فَضْلِهِ﴾؟ فعندما يقول اليهود: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾(آل عمران:١٨١) كلمة ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ناسين أن ما لديهم هو من عند الله كله، إذاً فهل هناك مجال أن تقول: بأنك غني والله فقير أو أنك تعطي والله بخيل وكل ما لديك هو من الله؟

فقضية الإنفاق في سبيل الله، الإنفاق من المال هو من الفضل العظيم على الإنسان أن يجعل الله أمامه مما آتاه هو، هو الذي أعطاك المال، وفي نفس الوقت أن يكون بإمكانك أن تستغل هذا المال لأن تحصل على فضل عظيم ودرجات عالية من الله، أليست هذه تُعتبَر نعمة من أساسها؟ ثم نعمة داخل نِعم أو تقول نِعم كثيرة وفضل كبير داخل هذه النعمة التي أساسها كلها من الله، هذا فيما يتعلق بجانب المال.

فيما يتعلق بالجانب الآخر جانب دعوة، جانب عمل: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ﴾(آل عمران:١٨٤) عندما تتحرك أنت وتجد آخرين لم يرضوا أن يقبلوا، لم يؤمنوا سواءً من اليهود أو من غيرهم، فلا يحصل عندك إحباط أبداً، أو يحصل عندك تراجع، فهناك رسل من قبلك قد كذبهم آخرون مع أنهم ﴿جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾(آل عمران:١٨٤).

هذه القضية يحتاج إليها الناس الذين يتحركون في الدعوة في أوساط الناس، هذه قضية ملحوظة بعضهم يحاول أن يعمل ورأى أهل القرية الفلانية لم يستجيبوا له، أو لم يستجب له الناس الفلانيون أشخاص مُعيَّنون، وفي الأخير تراه هو وقد صار يضعف، وقد صار يريد أن يترك العمل ويتراجع ولم يعد له شأن به، ويظن أن هذا العمل لن ينجح ولن يستمر ولن يستقيم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُورَكُمْ يَومَ القِيَامَةِ﴾(آل عمران:١٨٥) لاحِظ كيف جاء بهذه الكلمة بعد الكلام عن اليهود، اليهود لديهم حساسية من الموت بشكل رهيب تجد حتى كتبهم – اليهود والنصارى بشكل عام – كتب (العهد القديم والعهد الجديد) لا يوجد فيها حديث عن الآخرة تقريباً نادر جداً، لا يوجد حديث عن الموت والآخرة، لديهم حساسية منه لا يسمع كلمة موت نهائياً، هنا جاء في هذا الموضوع ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوت﴾ أيضاً في موضع آخر، أي: تجد أكثر ما وردت كلمة موت في مقامات إما بعد الحديث عن الكافرين أو بعد الحديث عن اليهود.

وأغلب ما يأتي الكلام عبارة عن ماذا؟ عن إشعار بمصير مُعيَّن؛ ولهذا لا يأتي حتى الحديث عن الموت عبارة عن وسيلة تخويف أبداً، بل معناه بداية مرحلة أخرى، ويتحدث عن الآخرة ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُورَكُمْ يَومَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾(آل عمران:١٨٥) لا يخوِّف من مسألة الموت نهائياً، يذكر بأنه عبارة عن قضية سيصل الإنسان إليها، لكن المسألة الخطيرة جداً هي قضية الآخرة، تجدها في أكثر ما ورد لا أذكر أنه قد جاء بكلمة (موت) وحدها على طريقة التخويف بنفس الموت أبداً وإنما بما بعد الموت ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوتِ الَّذِي وَكِّلَ بِكُمْ﴾ جاءت بعد الكلام مع الكافرين ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوتِ الَّذِي وَكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾(السجدة:١١) هذا الانتقال تجده بسرعة تقريباً في كل الآيات التي يَرِد فيها حديث عن الموت.

هنا يُبيِّن بالنسبة للناس بشكل عام بعد الحديث عن الجهاد وعن قتلى في سبيل الله وعن جرحى وأشياء من هذه، بأن يفهم كل إنسان بأنه سيموت، لتعرف بعد بأنه نعمة عظيمة كبيرة عليك أن يفتح لك باب جهاد في سبيل الله فتستغل موتك، تستثمر موتك فتحظى بالشهادة، وإلاّ كل واحد سيموت، وإذا كنتَ ستموت لا شك فأين الأفضل لك أن تموت بلا فائدة، أو يكون موتك له فائدة بالنسبة لك؟ أليس الأفضل للإنسان أن يكون موته فيه فضل عظيم له ودرجة رفيعة له؟ بل يقهر الموت نفسه؛ لأن الشهيد عندما يقول الله: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾(البقرة: ١٥٤) لا تسموهم أمواتاً، وليسوا بأموات، إنما هي نقلة بسرعة، أليس هؤلاء استطاعوا أن يقهروا الموت وألاّ يكونوا أمواتاً؟

﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ * لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيرًا﴾(آل عمران:١٨٥، ١٨٦) في مسيرتكم العملية ستسمعون من هذه الأطراف أذىً كثيراً، لكن تجد دائماً أنه يُقدِّم هذا الطرف بأنه خاسر، لكن إذا كان الطرف المؤمن على هذا النحو ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ في هذه الآية وفي آيات أخرى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(آل عمران:١٨٦) من عزم الأمور، أي: هذه هي الخطة العملية الصحيحة مثلما قال سابقاً: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيدُهُمْ شَيئًا﴾(آل عمران:١٢٠) فمن عزم الأمور هو أن يكون موقفك أو تكون خطتك بالشكل الذي يجعل العدو لا يضرك كيده، وتجعله لا يضرك أذاه، وإن دخل معك في قتال سيكون هو الخاسر.

﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾(آل عمران:١٨٦) تحدثنا عن موضوع الصبر والتقوى سابقاً، معناه صبر في مقام عملي وتقوى بكل ما تعني كلمة (الاتقاء) عملياً، هذا هو الحزم، وهذا هو عزم الأمور الذي يجعل النتائج بالنسبة للعدو خسارة كلها، فكيده لا يضرك، أذاه لا يضرك، ألم يُقدِّمها هكذا؟ الأذى لا يضر، الكيد لا يضر، أن يدخل معك في مواجهة ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾(آل عمران:١١١) إذاً فليس من عزم الأمور من يرون أنفسهم بأنهم حكماء فيقعدون، يقعد ولا يتحرك ولا يوطن نفسه على عمل، ويتهرب من المسؤولية، هذا لا يُعتبَر إنساناً حازماً ولا حكيماً، هنا يذكر عزم الأمور هو الصبر والتقوى العملي، مواجهة مع صبر وتقوى.

إذاً هنا يُبيِّن بأن الناس المؤمنين عندما يكونون متجهين في سبيل الله والعمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعدائه، يتناول كل القضايا بحيث يرون أنفسهم لم يعد هناك شيء جديد من جانب العدو يبدو أننا سنخاف أن يكون مؤثراً علينا – ونحن في عمل صبر وتقوى – نهائياً.

﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(آل عمران:١٨٦) لأن بعض الناس قد يكون فهمه أنه إذا قد صار مؤمناً لم يعد يريد أن يسمع كلمة سيئة، ولم يعد يريد أن يكون معه أعداء، قد صار مؤمناً وكان يظن أن له الفضل أنه آمن، فالباري عليه أن يزيل كل شيء من أمامه! يوجد ملائكة بالملايين ومخلوقات أخرى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾(الجمعة:١) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(الرعد:١٥) فلا تظن بأن الباري فرح بك، وأن عليه أن يبعد كل شيء، ولن تسمع كلمة قاسية من أحد ولا أذية ولا مؤامرة ولا شيئاً! قد تحصل هذه لكن هناك طريقة تجعل كل ما يحصل لا يضرك، ولا يكون له أثره السلبي عليك وهي هذه: صبر وتقوى اهتداء بهدي الله، فإذا لم يحصل هذا فسيكون كل شيء يترك آثاره السيئة عليك: يقاتلونك فيقهرونك، يكيدونك فينجحون في كيدهم، أذية فيوقعون بك الأذية، إذا لم يكن هناك صبر وتقوى.

تلاحِظ أنه هنا قدَّم كل الأشياء التي تكون محتملة من جانب العدو أنها في الأخير لن يكون لها أثرها السيئ على الناس إذا كانوا عاملين في سبيل الله وبصبر وتقوى، هذا يُعتبَر تقريراً هاماً ممن يعلم الغيب والشهادة ممن إليه ترجع الأمور، ممن هو غالب على أمره. وهذه القضية لها أهمية كبيرة في مجال عمل الناس عندما يقول: (اتركْ، يمكن أن يعملوا كذا، وسيعملون كذا، و، و...إلخ) هنا يقول لك سيحصل هذا من غير أن يقول: (سيعملون كذا، و، و...إلخ) هم أنفسهم سيعملون هذه ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيرًا﴾(آل عمران:١٨٦) إذاً فتكون قضية معروفة عندك أنهم سيعملون سيمكرون – كما قال سابقاً – وسيكيدون وسيتآمرون وسيعملون كل ما بإمكانهم أن يعملوه، فعندما يأتي أحد يقول: (اتركْ، حتى لا يعملوا كذا كذا، حتى لا نثيرهم علينا) وأشياء من هذه. يُقدِّم لك القضية بأنها قضية محسومة هم يعملون هذه وسيعملون هذه، فالشيء الذي يهمك إذا كنت حكيماً هو: ما هو الشيء الذي يجعل كل ما يدبرونه وكل ما يعملونه لا يترك أثره علينا؟ هو الإيمان والصبر والتقوى، أليست هذه هي الطريقة الصحيحة؟

تجد القرآن هنا أليس هو يحاول، أي: كلما تقرأ آيات منه تجد كيف يُبيِّن أشياء في نفوس الناس فكأنه كلما تطلع عندهم أقوال من هذا النوع تكون ماذا؟ قرارات غلط قرارات خطأ مفاهيم خطأ، أليس يُبيِّن لنا أن الكثير مما نسمعه يُعتبَر خطأ (اتركوا، لا تعملوا كذا وكذا، أو ربما يعملون كذا كذا...إلخ) لاحِظ كيف أهمية القرآن الكريم عندما قال الله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران:١٣٨) يُبيِّن لك العدو، ويُبيِّن لك مجتمعك، ويُبيِّن لك نفسيتك، ويُبيِّن لك نفوس الناس وقت الانتصار، وكيف تكون نفسياتهم وقت الهزيمة، وكيف تتعامل مع كل الأطراف، كيف تتعامل مع نفسك مع العدو مع أصحابك وقت الانتصار ووقت الهزيمة، وأنت تدفعهم إلى العمل، وهم في حالة تراجُع، كلها في إطار معركة واحدة قدَّمها، وكم قدَّم في إطار قضية واحدة في معركة (أحُد).

هنا هل بقي مكان للذي يقول لك: (يترك الناس العمل حتى لا يقال لماذا يعملون)؟ هنا يقول لك: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تشمل اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾(آل عمران:١٨٦) لو لم تعمل شيئاً لو كنت قاعداً ستسمع أذية كثيرة، إذاً فالطريقة الصحيحة هي العمل بصبر وتقوى، هذا هو عزم الأمور ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(آل عمران:١٨٦)

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾(آل عمران:١٨٧) هذه قضية هامة جداً عندما يكون المؤمنون – مثلاً – في مواجهة عدو، هنا تبرز أهمية كبرى لتبيين من لديهم علم الكتاب، يبينون للناس ويوجهونهم ويفهِّمونهم ويرفعون من معنوياتهم؛ لأن الناس يحتاجون إلى توجيه، وهذه المراحل مراحل الصراع مع العدو هي من أهم المراحل أو من أكثر المراحل التي يكون الناس فيها بحاجة إلى توجيه لماذا؟ لأن في الغالب يكون فيها قضايا جديدة، هي قد لا تأتي أثناء حديثك مع الناس حول الصلاة، حول زكاة، حول طهارة، وحول عبادات أخرى، حول أشياء من هذه، يكون هناك أشياء كثيرة تظهر.

لاحِظ كم قد ظهر! ألم تظهر أشياء كثيرة جداً في هذه المرحلة من بعد توجُّه الأمريكيين؟ كم ظهر في الساحة من أشياء، كم ظهر من بعد نزول (الشعار) من كلام كثير من الناس، مفاهيم مغلوطة تُبيِّن لك أن هناك حاجة ماسَّة إلى تبيين واسع، معناه أن الجريمة تكون كبيرة لمن يعرفون كتاب الله فلا يُبيِّنون ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾.

لاحِظ كيف كان الموقف سيئاً فعلاً في هذه المرحلة والأمة في مواجهة ألد أعدائها من اليهود والنصارى، وقضية واضحة لم تعد مؤامرات من تحت قد صارت قضية واضحة يرون الشعوب كل فترة شعب يحتلونه ومن أوتوا الكتاب ساكتون ولا شيء، معظمهم، سواءً داخل الشيعة أو داخل السُّنية في اليمن وفي غير اليمن، وهي أهم مرحلةٍ الناسُ بحاجة فيها إلى تبيين العلماء لكتاب الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ أي: أخذ عليهم ميثاقاً أخذ عليهم عهداً أن يبينوا ﴿وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ للمجتمع بكله؛ لأن الصراع مع أعداء الله لا يكون قضية تختص بفئة مُعيَّنة، بل تصل إلى كل بيت في المجتمع؛ لأن الناس جميعاً يحتاجون إلى تبيين.

﴿وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(آل عمران:١٨٧) وبعضهم ينبذونه وراء ظهورهم ويقدِّمون أشياء تدجِّن الأمة وتضعف الأمة أمام العدو، أليسوا يتجهون الآن في التلفزيون مقابلات حول (القبول بالآخر، والوسطية والاعتدال) بشكل معناه ماذا؟ ألاّ يتحرك الناس ولا يعملون شيئاً، ويتركون هؤلاء اليهود يتجهون ليعملوا ما يريدون، أي: هذه النتيجة في الأخير بمعنى: (لا تكونوا متحركين أو مستعدين للجهاد أو مُعدِّين لكل ما عندكم من قوة أو تحاولوا أن توجهوا بعضكم بعضاً كيف يكون لديكم اهتمام وروح جهادية، لا، كونوا معتدلين ولينين ولا يكون هناك تشدد!) كما يقال، وأشياء من هذه. إذا كان هنا يقول عمَّن كتموه إنها جريمة كبيرة فكيف من يكتم ثم يُبيِّن خطأ؟ جريمتان كبيرتان.

فتلاحِظ كيف يتناول القرآن كل ما له علاقة بالقضية، وهذا الشيء لا يمكن أن يصل إليه فكر الإنسان فيكون محيطاً بكل ملابسات القضية لا يعلم إلاّ الله سبحانه وتعالى؛ لهذا فإنها نعمة كبيرة جداً علينا أن يكون القرآن موجوداً نعمة كبيرة جداً؛ لأن الإنسان لا يستطيع هو مهما كانت خبرته السياسية أو العسكرية أن يصل إلى أن يعرف محيط القضية بكلها وكل ملابساتها، ألم يتحدث حتى عن الرِّبا؟ من الذي يفهم بأن الرِّبا قد يكون له علاقة في ضعضعة الأمة عن أن تكون بمستوى مواجهة عدوها؟! وهكذا.

فهذه الآية تعطي تحذيراً للناس، أي: أن نفهم أن منطق القرآن الكريم وتوجهه أنه في حالة أن تكون الأمة في مواجهة وتواجَه بقضية خطيرة وبعدوٍ خطير إنها مرحلة يجب أن يكون العلماء فيهم يتحركون لتبيين كتاب الله، وكيف سيكون تبيين كتاب الله في قضية كهذه؟ هل هو فيما يقعد الناس أو يحركهم؟ فيما يحركهم هذا شيء معلوم؛ ولهذا عندما تجد علماء ساكتين معنى هذا لا تعتقد أنه الموقف الطبيعي والصحيح بالنسبة لهم، نكون جميعاً كعامة الناس يكونون عارفين كيف هو الموقف الطبيعي والمسؤولية الهامة في وضعية كهذه بالنسبة للعلماء هو أن يتكلموا أن يبينوا للناس كتاب الله؛ ليشدوهم ليجعلوهم على مستوى عالٍ من الاستعداد لمواجهة هذا العدو؛ فعندما يكتم العلماء في الأخير يرى عامة الناس وكأنها قضية إما لم يعد معها مخرَج نهائياً لم يبقَ إلاّ استسلام أو أنها قضية ليس للدِّين موقف فيها نهائياً فكيفما انتهت القضية تنتهي.

يُعتبَر خطأً كبيراً من بعض الناس عندما يرى أن يبحث عن القاعدين الساكتين، يبحث عن الذين هم ساكتون ويقول: (سأسير وراءهم) هذا خطأ. يجب أن تفهم مسؤوليات الناس بكل فئاتهم في حالات الصراع في حالات المواجهة، في حالات احتمالات خطورة كبيرة على الأمة يجب أن تفهم أنت كمسلم مسؤولية العالِم؛ ولهذا (الإمام زيد) عمل تلك الرسالة ليذكّر الناس أن يفهموا مسؤولية العالِم، ويذكّر العالِم أن يفهم هو مسؤوليته.

﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(آل عمران:١٨٨) هذه قد تكون حالة تشمل كثيراً من فئات الناس، وكما نقول أكثر من مرة: بأنه بالنسبة للقرآن قد لا يفهم الناس أشياء كثيرة إلاّ في حالة حركتهم، أنت قد تجد كثيراً من القاعدين – سواءً كانوا علماء أو وجهاء أو أناساً آخرين – يعتقدون أن قعودهم هو الصواب فرحين بقرارهم أن يسكتوا وأن يقعدوا وألاّ يتعرضوا لقضية كذا، قد تحصل مثلاً أيضاً داخل العاملين أنفسهم بأن يكون هناك أناس ماذا؟ (يحبون أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلوا) هناك ادعاءات: (عَمِلْنا، وأنا عملت، وأنا عملت...إلخ) وكل واحد يحب أن يُحمَد بما لم يفعل مع أن المطلوب من الإنسان ألاّ يبحث عن أن يُحمَد بما يفعل من جهة الآخرين.

وهذه قضية ملموسة أن البعض من الناس الذين لا ينطلقون ليُبيِّنوا كتاب الله للناس يظن أنه القرار الصحيح والموقف الحكيم والرؤية الحكيمة، وأنه بهذه الطريقة يحافظ على المذهب (من أجل لا نثير الآخرين) أو ربما يلحقه شيء فيُضْرَب الإسلام؛ لأنه هو يَعتبِر نفسه الإسلام، وبعض الأشياء قد لا يتجلى للإنسان إلاّ من خلال حركة الناس حتى يَتبيَّن نماذج تصدق عليهم: ﴿وَيُحِبُونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ لأنها توحي بأن هذه حالة قد تكون حاصلة داخل مجتمع في حالة صراع على هذا النحو يأتي سواءً مَن يَعتبِر موقفه صحيحاً أو يتمدح بشيء لم يعمله، أو أشياء من هذه.

أمَّا نفس سرور الإنسان بعمل صالح يعمله فهذا شيء طبيعي، المؤمن نفسه هو يُسَر إذا عمل عملاً صالحاً لكن يسر بأنه ماذا؟ بأنه عمل عملاً يرضي الله ليس معناه أنه ماذا؟ يُسَر بأنه قد عمل عملاً صالحاً يمكنه من أن يتدخل في قضايا، أو من أجل أن يعمل كذا مثل بعضهم عندما يأتي قد يتعاون معك في مَدْرَسة أو في مسجد أو في مشروع عام من أجل أن يؤذيك في الأخير ويتدخل في كل شؤونه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾(آل عمران:١٨٩) هذه تتحدث عمَّن بخلوا، عمَّن قالوا إن الله فقير وهم أغنياء، عمَّن يكتمون كتاب الله، عن فئات كثيرة، هو مَلِك السموات والأرض، وهو مُدبِّر الأمر يعمل البدائل: بالنسبة لمن بخلوا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَومًا غَيرَكُمْ﴾(محمد:٣٨) بالنسبة لهم يقول: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ﴾(محمد:٣٨) بالنسبة لمن يكتمون كتاب الله يهيئ من يبينون كتاب الله، وهكذا، هو مَلِك ولا يُوقِف تدبيرَه أحد من هذه الفئات التي تبدو وكأنها قد أغلقت الأبواب: باب الجهاد، باب الإنفاق، باب التبيين للناس، أليست أبواباً تبدو قد أُوصِدت؟!

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم كل التهديد الذي جاء كثيراً تجد الآيات في آخرها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ تهديد أنه على كل شيء قدير؛ سيوقع هؤلاء فيما توعَّدهم به، سيقع عليهم: العذاب الشديد، العذاب الأليم، العذاب المهين؛ لأنه على كل شيء قدير.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾(آل عمران:١٩٠) فالله له ملك السموات والأرض وهو على كل شيء قدير، وستلمس من خلال هذه المخلوقات مظاهر قدرته، مظاهر تدبيره، في هذه الآيات إلى آخرها يُبيِّن كيف يكون المؤمنون، وكيف تَفكُّر المؤمنين، وكيف مشاعرهم، وكيف نظرتهم، كيف يستفيدون من خلال تأملهم في خلق السموات والأرض ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ جاء سابقاً في آية: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾(آل عمران:٢٦) ألم يُبيَّن بعدها أيضاً قائمة من مظاهر تدبيره التكويني: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾(آل عمران:٢٧)؟

أولو الألباب سيفهمون بأن هذا التدبير في الكون اختلاف الليل والنهار وفي المخلوقات؛ ليفهموا أن التدبير الآخر أيضاً قائم في موضوع الهداية وموضوع هذه المؤاخذة، التدبير الذي يسمونه التشريعي أو تدبير الهداية أنه أيضاً قائم، ففي خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب، آيات فيما تعطيها هي في موضوع معرفة الله، ومن معرفة الله أن يعرفوا بأنه المدبِّر لشؤون هذا الكون، هذا التدبير التكويني الذي نلمسه: اختلاف ليل ونهار وأشياء من هذه، أنه لا يمكن أن يغفل الجانب الآخر التدبير الآخر تدبير ماذا؟ نظام

للحياة، تدبير الهداية؛ لأنه كله في إطار ماذا؟ مُلْك، أي: كله مما يشمله مُلْك أو كله مما يُعتبَر من صلاحيات ومهام الْمَلِك. فالنظرة إلى السموات والأرض لخلقها واختلاف الليل والنهار فيها إلى آخر ما فيها من أشياء تكوينية: إنزال المطر وإنبات الأشجار والثمر، وأشياء واسعة جداً.

إن النظرة إليها على هذا النحو هي التي تعطي معارف واسعة جداً، لكن النظرة إليها على هذا النحو ضُرِبَتْ من جانب المتكلمين، قُدِّمت المسألة وكأنها تنظر في هذه الأشياء من أجل أن تعرف أن هناك (الله)! هنا يقول لك: إن هؤلاء مؤمنون بالله وهكذا نظرتهم إلى خلق السموات والأرض وما فيها، فتلك النظرة السابقة: أن تبحث أنت عن الله من خلال (أن هذه مُحدَثة؛ فثبت أن لها مُحدِثاً، إذاً هناك مُحدِث لهذا العالَم، فقلنا: هو الله) وباحثين عن الله، تنتهي أعمارهم وهم باحثون عن الله!

الله غرز معرفته في نفوس الناس فيجب أن ينظروا هذه النظرة الإيجابية التي تعطيهم معارف واسعة فيما يتعلق بمعرفته هو وليس على أساس باحثين ليثبتوا أن هناك (الله) هو موجود لكن تلمَّسوا هنا مظاهر حكمته، مظاهر تدبيره، ولتقارنوا لتعرفوا أن الذي هو المدبِّر لهذا العالَم على هذا النحو لا يمكن أن يغفل الجانب الآخر من التدبير الذي الإنسان بحاجة إليه، أليس الإنسان بحاجة إلى اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر، بحاجة إلى البَر، بحاجة إلى البحر، بحاجة إلى كل ما ذكره في القرآن من مظاهر هذا الخلق؟ وبحاجة أيضاً إلى التدبير الآخر الذي هو هدايته: كيف تكون نفسيتك كيف يكون تعاملك، هدايته بالمعنى العام، هذا جانب آخر.

وهي قضية أساسية حتى عند ملوك الدنيا عند الزعماء في الأرض، ألا يكون لديه وزارة اقتصاد وتجارة وزارة زراعة وزارة تربية وتعليم وثقافة؟ ماذا يعني هذا؟ هل يوجد أحد يحكم الناس ويلحظ فقط بأن يهتم بموضوع زراعة واقتصاد فقط أو أنه أيضاً يعمل وزارة تربية وتعليم؟ ما هو هدفه من هذا؟ وزارة اقتصاد وتجارة وزراعة ما هو هدفه؟ أليست تتعلق بالجوانب المادية الأخرى، وتربية وتعليم ثقافة وإعلام ما هي مهمتها؟ في الجانب الآخر فيما يتعلق بنفسية الإنسان في الجانب التربوي، كيف تكون رؤيته، كيف تكون نفسيته، كيف تكون ثقافته، كيف يكون توجهه.

هذه قضية هامة وواسعة في القرآن: أن يعرف الإنسان ويقطع بأن الله لا يترك الناس سُدىً، وأنه مُغْفِل لهذا الجانب الآخر: جانب الهداية، جانب التشريع، جانب نظام الحياة. التدبير في هذا الجانب مهم، التدبير للناس أن يهديهم إلى ما يكونون به بعيدين عن أن يُظلَموا، تُقدَّم في الآيات السابقة ألم يقل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾(آل عمران:١٠٨)؟ فكما أنه يعمل الأشياء الأخرى التي الناس فيها بحاجة إليه: اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر والشمس والقمر وهذه الأشياء كلها، فهم بحاجة إلى التوجيه الذي يجعلهم بعيدين عن أن يُظلَموا، فكما أنه يعمل هذه فهو يعمل الجانب الآخر، لكن الناس هم الذين يرفضون فيصبحون كالأنعام، همُّه فقط أن يأكل، أي: ينزل مطر وزرع ويأكل فقط، لا يلحظ الجانب الآخر يأتي الظلم فيلحق نفسياتهم ويلحق مادياتهم.

فهنا يُقدِّم موضوع التفكر عند أناس مؤمنين ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾(آل عمران:١٩١) هل هؤلاء يبحثون عن (الله) ليثبتوا أن هناك: (الله) فيثبتون وجوده أو هم عارفون له؟ هم عارفون لله، لكن هم يستفيدون من خلال تفكيرهم وتأملهم في هذا الخلق يستفيدون معارف واسعة جداً وكلها مظاهر لمعرفة الله؛ كي يتجلى تدبيره تتجلى حكمته علمه رحمته قدرته...إلخ.

لهذا نقول: إن كتب (علم الكلام) ضرَبت الناس ضربة رهيبة جداً – فعلاً – في مجال معرفة الله، في الأخير عندما ترى شمساً وقمراً ونجوماً وسماءً وأرضاً وكلها ويكون في ذهنك أنها مُحدَثة فثبت أن لها مُحدِثاً وهو: (الله) يثبتون أن هناك (الله) فقط. هذه تكفيك من مخلوق واحد فقط، أنت نفسك أو شجرة أو أيُّ دابة من الدواب تكفيك هذه العملية، فلماذا الأشياء واسعة جداً؟ ومظاهر تدبير الله واسعة جداً في هذا العالم؟ لها أهمية تعطي معارف واسعة جداً جداً وليست لتثبت أن هناك (الله) هؤلاء مؤمنون عارفون لله و﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ على أساس ماذا؟ هل يثبتون أن هناك (الله)؟ هم مؤمنون بوجوده، هم يعرفونه ويؤمنون به، لكن ماذا؟ فوائد كثيرة أخرى.

هذا التوجيه الصحيح إلى كيف تكون نظرة الناس إلى هذه المخلوقات، وكيف يتفكرون في خلق السموات والأرض، وهذا موضوع له علاقة هامة جداً بموضوع الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعداء الله إذا كنت ناسياً للتدبير الإلهي تكون معرَّضاً للضعف، إذا كنت ناسياً أن الله هو ملك السموات

والأرض وله ما في السموات والأرض وهو مدبِّر الأمر وإليه يرجع الأمر كله، في الأخير تكون النتيجة ضعفاً، إذا كنتَ عارفاً لهذا فستنطلق وأنت عارف بأنك عبارة عن جزء من التدبير الإلهي داخل هذا العالم.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ في كل الحالات ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾(آل عمران:١٩١) وليس (ربنا ثبت لنا أنك موجود) أي: النتيجة من خلال تفكرهم هي هذه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ إذاً فلا مكان للباطل داخل ما خلقتَ، وهو قال في آية أخرى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَينَهُمَا لاَعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾(الدخان:٣٨، ٣٩).

﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران:١٩١) لاحِظ هذه النتيجة كيف بدايتها ونهايتها رؤية واسعة جداً من خلال ما لمسوا، لمسوا هنا أشياء كثيرة هي من مظاهر تدبيره وهدايته؛ لأن في نفس الخلق، أي: في تدبيره ما يُعتبَر هداية للناس يعرفون في الأخير بأنه لا يوجد هزل ولا لعبة، بل هذا حق، وأنه مَلِك، تدبير مَلِك ينتهون في نفوسهم إلى ماذا؟ إلى أن هناك – فعلاً – عواقب سيئة جداً؛ لأن طريق الحق واضح كل الوضوح: أن الله هو الْمَلِك، هو المدبِّر، هو الهادي، هو كذا.

فعندما تكون الأشياء على هذا النحو واضحة جداً جداً، معناه في الأخير أن وراءها عقوبة عندما يعرفون أنه مَلِك وهذا تدبير مُلْك، ويعرفون أنه في تدبير الْمُلْك لا بُد أن يكون هناك ثواب وعقاب، فبقدر ما ترى التبيين الرهيب في كل شيء من خلال آياته في كتبه وآياته في هذا الكون يكون معناه أن مَن أعرض عنك، عن هداك، مَن لم يُطِعْكَ تَكُن عاقبته رهيبة جداً هي النار ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ يذكر بداية ونهاية ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ كم تحت هذه من معارف؟! وجدنا أشياء كثيرة تدل على حكمتك وتدبيرك وهدايتك ورحمتك...إلخ، إذاً وراءها عذاب شديد، هو قال في آيات أخرى في (سورة البقرة) بعدما ذكر البيان الكافي ذكر الذين كفروا أن لهم نار جهنم لا أذكر نص الآية، أي: يُبيِّن بأنه بعد هذا الهدى البيِّن من خلال ما عرضه بواسطة كتبه ورسله وما ذكره من تفاصيل مخلوقاته في هذه السموات والأرض أن الكافرين يستحقون أن يُعاقَبوا ذلك العقاب الشديد.

كيف النظرة الآن؟ لاحِظ أليس هؤلاء أناساً نظروا في خلق السموات والأرض؟ ظهرت النتيجة لديهم ماذا؟ نتيجة عملية، أي: هم سيجدون هناك المظاهر الكثيرة التي تدل على أن إليه يرجع الأمر كله، هو مدبِّر شؤون هذا العالَم، هناك مصاديق لوعده؛ فيجب أن نتحرك، فالقعود مع كل هذه التي يظهر من خلالها أنه الملك الحي القيوم المدبِّر لشؤون السموات والأرض، أي: ماذا؟ عقوبة كبيرة.

النظرة الأخرى نظروا في خلق السموات والأرض على طريقة المتكلمين فظهرت (هذه الأرض ليست إلاّ للباطل، وأن أهل الحق مساكين لا ينجحون، فيقعدون وليس لهم دَخْل، وفي الأخير سيدخلون الجنة) المؤمنون هنا قالوا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ لأنه عندما يرى النوعية الأخرى أصحاب النظرة الأخرى أنهم مُضطهَدون ومظلومون ومُستضعَفون ومُهانون وفي حالة شقاء قالوا: (هي هكذا الدنيا، وهكذا يكون المؤمنون، إذاً بعدها الجنة بالتأكيد) لا يلحظون سنن الله في هذه الحياة فيعرفون أن هذه الحالة قد تكون عقوبة على تقصير لديهم، والتقصير في العمل في سبيل الله دليل على أنهم معرضون عن هدى الله فكانت الحياة بالنسبة لهم هكذا.

إذاً لا يتوقعون بعدها جنة، بل يتوقعون بعدها ناراً؛ لأن الله قال في آية صريحة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ هنا في الدنيا ﴿وَنَحْشُرُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:١٢٣، ١٢٤) عندما يكون الناس في معيشة ضنكا يجب أن يفهموا بأنها حالة يجب عليهم أن يُقيِّموا أنفسهم ليعرفوا ربما لديهم تقصير، هم في حالة إعراض عن هدي الله وفي حالة تقصير عن العمل بما أمرهم الله أن يعملوه وبتوجيهاته فتحصل هذه الحالة السيئة.

لكن لا، القائم عند كثير من الناس أن حال الدنيا هكذا، وهذه علامة أن الناس مؤمنون عندما يكونون مهانين مُضطهَدين مستضعفين، في معيشة ضنكا! ألم يُرتب على المعيشة الضنكا أن يُحشر أعمى؟ لأنه مؤشر خطير عندما تكون الأمة في وضعية مثلما الأمة الآن في معيشة ضنكا، أليس العرب الآن في معيشة ضنكا بكل ما تعنيه كلمة الضنك؟ إذاً معناه هذا مؤشر خطير قد تكون العاقبة سيئة: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ لأنه لا يأتي الضنك هنا في المعيشة إلاّ نتيجة عمى عن هدى الله فعندما قال الله: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ لأنه قد هداه فما أبصر، هدى عباده، هدى الناس فما أبصروا؛ فعاشوا معيشة ضنكا هنا، أيضاً هم سيُحشرون عمياً فلن يعيشوا عيشة طيبة هناك في الآخرة، بل في معيشة ضنكا إلى معيشة أقبح وأسوأ.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾(آل عمران:١٩٢) يستحق بعدما لمسناه من خلال تأملاتنا في مظاهر هذه الحياة، وما لمسناه من مظاهر تقديرك وحكمتك وعلمك ورحمتك وأنك إليه ترجع الأمور وأنك على كل شيء قدير وأنك صادق الوعد ﴿مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه﴾ هو يستحق ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾(آل عمران:١٩٢، ١٩٣) ألم يدفعهم هذا التفكر في خلق السموات والأرض إلى العمل؟ لأنه تفكر مبني على رؤية عملية ورؤية صحيحة نظرة صحيحة لهذه الحياة، للسموات والأرض.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾(آل عمران:١٩٣، ١٩٤) كيف كانوا من خلال تفكرهم في خلق السموات والأرض؟ حصل لديهم علم يقين بأن الله قادر على أن ينجز ما وعد به، الذي ليس لديه هذه النظرة في خلق السموات والأرض يقرأ الآيات التي فيها وعود إلهية ولا يحصل لديه إيمان بأن الله سينجز ما وعد به، هم هنا حصل لديهم إيمان بهذه فدعوا الله بأن ينجز لهم ما وعدهم على لسان رسله، أن ينجزه: أن يعطيهم ﴿آتِنَا﴾ أليست هذه تدل على أنها قضية هم مؤمنون بها، مؤمنون أنها قضية واقعية أنه وعَد، وأنه سيفي بما وعَدَ به هم يستنجزون ما وعد به أن يؤتيهم.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَومَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(آل عمران:١٩٤) أليسوا هناك قالوا ﴿إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾(آل عمران:١٩٣) الإيمان إيمان عملي، هم يريدون نصراً يريدون تأييداً إلهياً وعندهم إيمان بهذا فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَومَ الْقِيَامَةِ﴾ هنا في الدنيا ﴿عَلَى رُسُلِكَ﴾ هنا في الدنيا ﴿وَلاَ تُخْزِنَا يَومَ الْقِيَامَةِ﴾ أليس حديثاً عن هذه الحياة إلى الحياة الآخرة؟ ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(آل عمران:١٩٥) فهنا أكد وعده، ألم يؤكد الوعد للذكر والأنثى؟ معنى هذا أن الباب مفتوح للرجال والنساء، والقرآن الكريم يُقدِّم موضوع الرجال والنساء عبارة عن عالَم واحد وجنس واحد وأمة واحدة، ليس على ما يُقدِّمه الآخرون يحاولون أن يجعلوا النساء عالَماً وحدهن والرجال عالَماً وحدهم (فيجب على النساء أن يقاومن الرجال من أجل أن تأخذ حقوقها) من أجل قضايا تافهة، هنا يُبيِّن في هذا المجالات الهامة التي أمام الرجل والمرأة هذه المجالات الهامة التي تحصل عليها المرأة – كما يحصل الرجل – على درجات رفيعة هي هذه المجالات الإيمانية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى﴾ ولم يعد موجوداً هنا أن يقول: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ الأُنثَيَينِ﴾ بل باب مفتوح للكل، وكل واحد بقدر إيمانه وعمله ذكراً أو أنثى ﴿بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ﴾ أمة واحدة ومسؤولية واحدة والنتائج واحدة وهذا هو الواقع.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ لاحِظ هنا أن يذكر الوعد العظيم يذكر الجنة، ألم يذكر الجنة هنا؟ لأن هؤلاء من خلال تفكرهم ومقارنتهم ما بين هذه الحياة والحياة الآخرة، بالطبع لديهم موضوع الجنة أرقى وأعظم وأهم مطلب لديهم، فيما يتحقق في هذه الدنيا هناك آيات أخرى تُبيِّن أن هؤلاء ليس معناه بأنه فقط سيعطيهم ما ذكر في الآخرة أمَّا في الدنيا فلا، لكن هذه فئة من خلال ذكرها لله وتفكرها يهمها موضوع الآخرة، أليسوا هناك في دعائهم قالوا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران:١٩١) وهنا ﴿وَلاَ تُخْزِنَا يَومَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(آل عمران:١٩٤)؟ هي القضية الهامة عندهم، وهو الواقع، واقعاً من يتفكر ويتأمل ويقارن ما بين هذه الحياة والحياة الآخرة فسيجد بأن الحياة الآخرة هي المطلب المهم وأنها الشيء الذي يجب أن يكون أمنيته، ولو كان لديه هذه الدنيا بكلها، لاحِظ نبي الله سليمان عليه السلام على الرغم مما لديه من مُلْك عظيم كيف دعا الله ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(النمل:١٩) ولديه مُلْك لا ينبغي لأحد من بعده.

هذه الآيات هي تُبيِّن كيف يتفكر الإنسان، وكيف من يتفكرون وفق رؤية صحيحة، كيف تكون النتائج عندهم، وكيف تكون رؤيتهم ومفهومهم في الأخير.

﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(آل عمران:١٩٦، ١٩٧) هذه أيضاً لها علاقة بموضوع الصراع فيما بين المؤمنين والكافرين (والكافرون لديهم إمكانيات كبيرة، وأيضاً لديهم

أراضي واسعة وشعوب واسعة) قد توجد حالة نفسية غير طبيعية، ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ﴾ هذا، لا يخدعك، تُخدع بهذا فيكون لك نظرة أخرى أو موقف آخر ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ كل ما لديهم متاع قليل. في آيات أخرى يقول: ﴿أَفَلاَ يَرَونَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(الأنبياء:٤٤) مهما ترَ لديهم من مظاهر كبيرة وتمكّن في الملك تأتِ متغيرات تصبح لا شيء مثل ما قال سابقاً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾(آل عمران:٢٦).

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ لأن الإنسان أحياناً قد تستقر لديه في ذهنيته وفق نظرة مُعيَّنة إلى ما عليه الكافرون يتصور أن الحياة قد صارت هكذا باستمرار، مثلاً أمريكا أمريكا دائماً، أمريكا وأوروبا باستمرار يتصور هكذا، لا، تحصل متغيرات ثم تراها شبيهة بما تسمع به عن ماذا؟ عن الأمم الماضية والدول الماضية. ألم تكن الدولة العثمانية مهيمنة في المنطقة على أكثر هذه البلاد؟ الناس ربما في ذلك العصر يظنون أن الدولة العثمانية ستبقى إلى يوم القيامة، تغيرت أصبحت لا شيء أصبحت قصة من قصص التاريخ.

هذه تكون مؤثرة في موضوع الجهاد في موضوع العمل في سبيل الله هذه النظرة: تتصور أن الدنيا تكون هكذا على ما هي مرسومة الآن أمامك، معناه أن نجاهد في سبيل الله، أي: (أمامنا أعداء كبار، وإمكانيات كبيرة!) لا، ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيل﴾(آل عمران:١٩٦، ١٩٧) تتغير هذه الأشياء. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيرٌ لِلأَبْرَارِ﴾(آل عمران:١٩٨) فبالمقارنة بين ما لدى الكافرين يجب أن تفهم أنك في الطريق التي ستكون النتيجة بعدها ماذا؟ هذه الجنة العظيمة التي لا يساوي شيئاً ما لدى الكافرين مهما كان وإن كانت هذه الأرض كلها لا تساوي شيئاً من هذه الأشياء، أي: لا تساوي كما في الحديث ((موضع سوط في الجنة)). ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيرٌ لِلأَبْرَارِ﴾ ﴿نُزُلاً﴾ بمعنى إكرام وضيافة لهؤلاء المؤمنين المتقين.

فعلى هذا لم يعد يكبر عند الإنسان أن يرى ما لدى الآخرين، ويرى نفسه: أمَّا هو فلماذا؟! سيرى عندما يكون على الطريق الصحيح طريق الجنة ما عند الله خير مما عند هؤلاء، إضافة إلى أنه في مسألة التغيير ألاّ تظن أن هذه الوضعية مستقرة أيضاً ألاّ يكون لديك حالة قد ترى نفسك في الأخير حقيراً أمامهم أو ضعيفاً أمامهم، لا، اعتبر نفسك أن لديك ما هو أكثر منهم، هو ماذا؟ هذا الذي وعد به الله سبحانه وتعالى: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيرٌ لِلأَبْرَارِ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(آل عمران:١٩٩) تُقدَّم الحديث عن أهل الكتاب وكثير من الآيات التي تدخل - وتجدها كثيرة - كأنها توحي بأن صراع الناس - فعلاً - سيكون مع أهل الكتاب، هذه الأمة صراعها بشكل رئيسي مع أهل الكتاب في تاريخها، هنا يُبيِّن كيف هؤلاء الناس، كيف نفوسهم، ثم يُبيِّن كيف تكون نظرة الناس إليهم، فعندما يقول هنا: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ...﴾ إلى آخرها (آل عمران:١٩٩) تشبه الآية الأولى: ﴿لَيسُوا سَوَاءً﴾(آل عمران:١١٣) لأن أثرها قيمتها بالنسبة للإنسان من الناحية النفسية هو أن يكون موقفك كله من الآخَر: من أجل الله وفي سبيل الله وليس موقفاً شخصياً، هذا هو أفضل وأضمن.

فعندما يكون قد سبق في هذه السورة آيات تتحدث عن بني إسرائيل منها هذه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾(آل عمران:١٨٧) يأتي بما هو شبيه بالآية السابقة: ﴿لَيسُوا سَوَاءً﴾(آل عمران:١١٣) أن هناك أيضاً: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّه﴾(آل عمران:١٩٩).

هذه لا تعطي الذي يسمونه: النظرة الأخرى (القبول بالآخر) لا، وإنما لصحة موقفك أنت لأن الموقف الشخصي - مثلما قلنا سابقاً - ليس مضموناً أبداً أن يكون موقفك شخصياً من الآخرين أيِّ أعداء لله؛ لأن العداء الشخصي ليس مضموناً؛ لأنه بمجرد أن يقدِّموا لك مصالح مُعيَّنة سيضرب هذا العِداء؛ لأن الإنسان يتأثر بالإحسان، لكن عندما يكون موقفك موقفاً دينياً فلن يتغير موقفك وفي نفس الوقت ستبقى ثابتاً ومستقيماً ولو قدَّموا لك مصالح شخصية، لو بنوا عند بيتك مستشفى لا تتأثر؛ لأن القضية ليست شخصية.

أو أحدٌ منهم يصلح، أحد منهم يستجيب يكون قريباً، أليس هذا في منطق الإسلام بأن من شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله فله ما لنا وعليه ما علينا، من أسلم ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾(البقرة:١٣٧) **إذا كان الموقف لديكم من أجل الله وليس موقفاً شخصياً فستكون أنت قابلاً مثلما قلنا بالأمس عندما يهتدي يأتي (حيَّاه الله) الموقف الشخصي في الأخير يتعززٍ حتى تصبح عندك نظرة للآخَر فلم تعد تريد أن يصلح نهائياً فتصده أنت عن سبيل الله فهي قضية هامة جداً. ﴿لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾**(آل عمران:١٩٩) **لأنه ذكر هناك: ﴿وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾**(آل عمران:١٨٧)**.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ التأكيد على موضوع الصبر، الصبر هنا يَعدُّه عملاً، نفس الصبر يعتبره عملاً ﴿وَرَابِطُوا﴾ استمرار الثبات ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ هنا يؤكد موضوع الصبر والتقوى تأكيد لِمَا سبق وبخلاصة، هنا يعطيك خلاصة الموضوع من كل ما تقدَّم ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:٢٠٠) **بكل ما تعنيه كلمة ﴿تُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.**

نسأل الله أن يجعلنا من المفلحين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الـمـوافــق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ